قضيـة الصلب والتثليـث
عنـد
النصـارى
ومـوقـف الإسـلام منـها

بقلم
الدكتـور / إبراهيم عبدالرحمن عتلم
أستـاذ الدعوة المساعد

الحمد لله الواحد الأحد .. انفرد وحده بالإلهية .. واختص دون سواه بكل صفات الكمال والجلال .. فرد صمد .. لم يلد .. ولم يولد .. ولم يكن له كفوا أحد .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تنزه عن الصاحبة والولد .. وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .. اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الرشاد .

« أما بعد »

فقد هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ليتولى مهمة الخلافة بعد أن اجتباه ربه وتاب عليه وهدى ، وبدل عصيانه إلى طاعة ، وغوايته إلى هدى ، قال جل شأنه :
{ ... وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى } [1] فبدأت الأسرة الإنسانية مسيرتها على التوحيد المطلق لله رب العالمين ترجمة وتحقيقاً للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وأخبر عنها بقوله سبحانه :
{ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهن ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين } [2] .
واستمرت البشرية على التوحيد والوحدة ردحاً من الزمن دون اختلاف .

أول اختلاف في الأسرة الإنسانية :

ولكن سرعان ما دب الخلاف ، وتطرق الانحراف بين أفراد الأسرة الواحدة حين فرح الإنسان بعلمه ، واستقل بعقله ، وبعد عن ربه ، ومال إلى شيطانه .. « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » [3] .

فكان أول اختلاف في الأسرة البشرية – بين الأفراد على الأرض – بسبب متاع الدنيا وحطام الأرض : كما ذكره رب العزة فى قصة ابنى آدم بالحق . لما بغى « قابيل » بعلمه ، وشيطانه ، ودل بزرعه أو ضرعه أو قربانه ، وأراد أن ينفرد عن أخيه « هابيل » بسلطانه ...

فقتله عن علم ، وقصد ، وإنذار ، وهو يعلم الجزاء ، والظلم ، والإثم والنار .. بل

---

(١) سورة طه : ١٢١ ، ١٢٣ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .
(٣) سورة يونس الآية : ١٩ .

ويعلم عقاب الله القوى الجبار ..
ولذا عاقبه الله فى الدنيا بالخسران .

أول إنحراف إيمانى فى الأمة الإنسانية :

ثم بدأ الاختلاف يدب إلى الأمة الواحدة ، بعد أن تكونت الأمة على التوحيد .. كما بدأ الشقاق والانحراف – من قبل – يتطرقان إلى الأسرة الإنسانية فى أوائل التكوين كما أشرت .. وقد سجل ذلك رب العزة في كتابه الحق .. { وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون } [1] .

وتوالت الحلقات الدينية ، كدين نوح ، وملة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى .. وكان تمامها الإسلام .

وأنزل الله سبحانه الكتب ، الصحف ، والزبور ، والتوراة ، والإنجيل .. وكان تمامها هو القرآن .

والغاية من هذه الرسالات السماوية التى تنزلت من قبل الحق تبارك وتعالى واختص بها – من اصطفى من عباده – أنبياءه ورسله هى : أن يعرف الناس أن لهذا الكون إلها واحدا .. مالك الملك .. خالق كل شئ .. واجب الوجود واحد فى ذاته وصفاته .. وأن هذا الإله هو الذى يجب أن يتوجه إليه الناس بالعبادة .. فيعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

ومن أجل هذه الغاية توالت رسالات الله تترى على البشرية كما قال الحق تبارك وتعالى : { ثم أرسلنا رسلنا تترى } [2] فما من نبى ولا رسول إلا وقال لقومه : { يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره } [3] وهذا ما أخبر الحق تبارك وتعالى به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } [4].

هكذا نرى أن الهدف الأساسى من كل الرسالات السماوية من لدن آدم ونوح عليهما السلام إلى خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. التوحيد المطلق لله رب العالمين .. الإيمان بالله وحده ، وإفراده سبحانه بالألوهية ، وتنزيهه عن الشريك ، والصاحبة والولد ..

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية ١٧٦ .
(٢) سورة المؤمنون من الآية ٤٤ .
(٣) سورة هود من الآية ٥٠ .
(٤) سورة الأنبياء ٢٥ .

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبليغ دعوة التوحيد إلى الناس ، كانت رسالته شأن من سبقها من الرسالات السماوية – الدعوة – إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ، والإيمان به وحده ، وإفراده سبحانه بالألوهية ، وتنزيهه عز وجل عن الشريك والصاحبة والولد ، فقد دعا عيسى عليه السلام قومه بني اسرائيل إلى التوحيد قائلاً : { يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم } [١] ، وبين لهم عاقبة الشرك قائلاً : { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } [٢] .

تلك كانت رسالة المسيح الحقيقية التي دعا قومه إليها في أثناء حياته وآمن بها الحواريون – تلاميذ المسيح – وأعلنوا ذلك صراحة إذ قالوا لعيسى عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم { آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون } [٣] .

ولم يكن عيسى بهذه الدعوة خارجا عما جاء به موسى لبني اسرائيل قومه ، ولكن جاء يمشي على شريعة موسى عليه السلام كما هو ظاهر من نصوص القرآن الكريم حيث قال المسيح لبني إسرائيل : { يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوارة } [٤] .

وما جاء من نصوص إنجيلية حيث يقول المسيح لتلاميذه : « لا تظنوا أني أتيت لأحل الناموس والأنبياء .. إني لم آتي لأحل .. لكن لأتمم » [٥] وكان الناموس الموسوى يرتكز أساساً على التوحيد ، فجاء عيسى ليتمم ما جاء به موسى ، وليكمل ذلك الناموس الموسوى الداعي إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ..

وأخذ عيسى عليه السلام ينشر دعوته مبينا لبني إسرائيل أن الحياة الأبدية أن يعرف الناس الإله الحقيقي .. الواحد الأحد .. وهذا الإله هو الذى أرسله إليهم كما جاء ذلك في إنجيل يوحنا حيث قال المسيح : « إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح » [٦] .

وترسخت هذه الدعوة وتلك الحقيقة في حياة عيسى عليه السلام وبعد رفعه حدثت

(١ ، ٢) سورة المائدة ٧٢ .
(٣) سورة آل عمران من الآية ٥٢ .
(٤) سورة الصف من الآية ٦ .
(٥) إنجيل متى ٥ : ١٧ .
(٦) إنجيل يوحنا : ١٧ : ٣ .

أحداث وتغيرت أمور ونزل بالمسيحية وأصحابها ما نزل ، وحل بها ما حل من الإضطهادات والكوارث التي كان لها أثر كبير في الانحراف عن الدعوة الحق التي دعا إليها عيسى عليه السلام سيراً علي نهج إخوانه المرسلين الذين سبقوه وهي التوحيد الكامل الذي جاء به سائر الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله ، وأرسلهم لهداية الناس ومنهم المسيح ، قال تعالي : { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. } [1] .

والقرآن الكريم وهو آخر كتاب نزل من عند الله مهيمناً علي كل ما نزل من السماء ومنهجا باقيا خالدا تكفل الله بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل ينص علي أن عقيدة المسيح ودعوته قائمة علي التوحيد الكامل ، التوحيد بكل شعبه : التوحيد في العبادة : فلا يعبد إلا الله ، والتوحيد في التكوين : فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، والتوحيد في الذات والصفات : فليست ذاته مركبة ، وهي منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى ، وهذا ما سجله القرآن وقاله الحق عز وجل حكاية عما يكون من عيسى عليه السلام يوم القيامة مجاوبة بينه وبين ربه : { وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق .. إن كنت قلته فقد علمته .. تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم } [2] .

عقيدة صلب المسيح

١- بيان عقيدة الصلب :

اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة صلب المسيح - وكذلك عقيدة التثليث كما سيأتي بعد - .

واعتقد النصارى أن من لم يؤمن بصلب المسيح فقد كفر ، وسأضع بين يدي القارئ الكريم هذه العقيدة وقبل ذلك أورد السبب في الاعتقاد بها .. وأصول هذه العقيدة وجذورها قبل المسيحية .. ثم الواقع التاريخي لحادثة الصلب كما ورد في

---

(١) سورة الشورى من الآية : ١٣ .

(٢) سورة المائدة الآيات : ١١٦ ، ١١٧ .

الأناجيل .
والواقع أن النصارى بنوا عقيدتهم في الصلب على ما جاء من نصوص إنجيلية لديهم حيث جاء في رسالة يوحنا الأولى : « الله محبة ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله ، والله فيه » رسالة يوحنا الأولى (٤ : ١٦) .
فقد زعم النصارى أن محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم : لأن من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل بهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم .
ولما كان قد قضى الله - في زعم النصارى - إلى أن القصاص من بني آدم المخطئين بالوراثة أرسل ابنه رحمة منه في صورة جسد من أجساد المخطئين ليقوم بتقديم هذا الجسد للقصاص والعقاب فداء وكفارة عن سائر البشر .
يقول النص : فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ، ولأهل الخطيئة وإن الخطيئة في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين »[٢]
فبسبب الخطيئة التي اكتسبها الجسد الأدمي كانت الخطيئة دينا يستوجب القصاص بالعقاب من فاعلها ، فلأجل ذلك تجسد اللاهوت أي حل في جسد بشري من أجساد الناس [٣] ، ولما كان كذلك سمي ناسوتا نسبة إلى الناس ، كما سمي الجزء اللاهوتي « باللاهوت » نسبة إلى الإله ، فإن الإبن نزل من عند أبيه وحل في أحشاء مريم واتحد بالناسوت اتحادا كاملا ، وخرج من بطنها إنسانا كاملا ولاهوتا كاملا - ليعظ الناس ويدعوهم إلى التوبة من الخطيئة [٤] .
فالنصارى اعتمادا على هذه النصوص وغيرها يعتقدون اعتقادا جازما بأن المسيح مات صلبا ليتوب عن آدم وبنيه - ذلك : أن الله خلق آدم وأسكنه جنة عدن وأوصاه قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » لأن أجرة الخطيئة هي موت » [٥] .
ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم - وفي تنفيذ مقتضى المطلبين

---

(١) سورة المائدة الآيات : ١١٦ ، ١١٧ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية (٨ - ٣) .
(٣) رسالة إلى أهل كورلوس (٢ : ١) .
(٤) رسالة إلى العبرانيين (١ : ٢) .
(٥) رومية (٦ : ٢٣) .

ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم – وفى تنفيذ مقتضى المطلبين الموت والصفح تناقض وتضاد ، فإن عفا برحمته فقد بطلت وظيفة العدل الإلهى ، وإن أقام القصاص بالموت لعدله فقد بطلت وظيفة رحمته [1] .

ومن هنا نشأت مشكلة ، وبينما كان الله يدبر ما يحقق رحمته بآدم بدون تناقض ، كان آدم يتناسل فوجدت ذريته تحمل نفس الخطيئة كما يقول بولس من أجل ذلك كأنه بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » [2] الرسالة إلى روميه (٥ : ١٢)

وهكذا استوجبت البشرية الموت كآدم فهم بذلك مبعدون عن رحمة الله وعدله ، ولكن الرحمة أوقفت حيث اهتدى الله – فى زعمهم – إلى طريقة للحل ، وهى : أن يتقدم فاد عن البشرية ، ولما كان البشر جميعا مخطئين ، ولا طاهر إلا الله ، فلا يصلح للفدية إلا هو ، والله ليس جسدا ، وهنا نشأت مشكلة أخرى هى تجسد الذات الأقدس لذلك أنزل الله ابنه ، واتخذ الإبن لنفسه جسد إنسان فى بطن مريم وتنفيذا لذلك قام الإبن بتسليم نفسه للصلب مختارا كفارة لخطايانا وبذلك تم فداؤنا وتحقق خلاصنا ، وتوافق العدل والرحمة .. وفى ذلك يقول بولس : [ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا] رسالة لأهل رومية (٥ : ٨) .

هذه هى عقيدة النصارى فى صلب المسيح – عليه السلام – وقد وردت قصة الصلب فى الأناجيل على النحو التالى :

١– فى إنجيل متى : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين السادس والعشرين والسابع والعشرين .

٢– وفى إنجيل مرقص : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الرابع عشر والخامس عشر .

٣– وفى إنجيل لوقا : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الثانى والعشرين والثالث والعشرين .

٤– وفى إنجيل يوحنا : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر .

وهذه العقيدة تحتاج إلى البحث عن الحقيقة .. والحقيقة أنهم ما قتلوه وما صلبوه ..

---

(١) انجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية صـ ١٤٢ د. محمد كريت رسالة مخطوطة كلية أصول الدين .

(٢) المرجع السابق صـ ١٤٣ .

{ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما } [1] .
ونسوق الأدلة على أن هذه العقيدة غير صحيحة وهى من زعمهم ..

الأدلة على أن المسيح ما قتل وما صلب :

إننا ننزه المسيح عن تلك الإهانات التى صورتها أناجيل القوم لتلك الفرية فى كيفية القبض عليه وما جرى له .. وعندما نفعل ذلك فإنه من واقع إيماننا بأن عيسى – عليه السلام – واحد من المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله لتبليغ رسالة من رسالاته إلى البشر فكيف تليق به تلك الإهانات وقد جعله الله مباركا أينما كان كما أخبر المسيح نفسه عن ذلك فى القرآن الكريم : { وجعلنى مباركا أينما كنت } [2] .
وكيف يتحدثون عن المسيح بذلك ثم يعتقدون أنه صلب وفى الوقت نفسه يتخذونه إلها بل ويرفعون تلك الخشبة التى صلب عليها الإله : إلى مكان التقديس حتى قالوا : « الصليب هو قلب المسيحية النابض ، بل الصليب هو المسيحية ، والمسيحية هى الصليب ، والصلب هو إعلان محبة الله التى لا حد لها للبشر » [3] . وإليك أيها القارئ الكريم الأدلة التى تثبت أن المسيح ما قتل وما صلب .. وأول شهادة ودليل على ذلك هو الواقع التاريخى لبداية تقديس الصلب .

أ- الواقع التاريخى لتقديس الصليب :

فإن الصليب لم يكن معروفا ولا مقدسا فى زمن المسيح ، وكذا لدى الحواريين ولا النصارى حتى عام ٣٢٥م إلى هذا التاريخ القرن الرابع الميلادى إلى أن جاء قسطنطين وجمع النصارى فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م .
وفى هذا المجمع تقرر ألوهية المسيح عليه السلام بأمر قسطنطين الحاكم الرومانى الوثنى [4] ، وأخذ يجمع لهم المخلفات الأثرية وأمرهم بتقديسها وتعظيمها .
يقول م . هـ بروديت : « بدأ احترام المخلفات الأثرية منذ عصر مبكر فى تاريخ الكنيسة فقد أتت هيلانة أم قسطنطين الكبير عند عودتها من أورشليم بقطعة من الخشب ، وزعموا أنها قطعة من الصليب ، وكذلك بضعة مسامير اعتقدت أنها مما استعمل فى صلب المسيح ، وهكذا بدأ أن يكون للصور والتماثيل والأيقونات قيمة ،

---

(١) سورة النساء / ١٨٥ .
(٢) سورة مريم من الآية / ٣١ .
(٣) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفوسطيين صـ ١١٨ عوض سمعان / ط الفنية الحديثة سنة ١٩٧١ م .
(٤) عصر المجامع صـ ٢٠ .

وصارت الكنائس تبنى لحفظ هذه المخلفات ، وأخذت الكنائس تملأ بالتماثيل والصور التى أصبحت موضوعاً للعبادة .. وعادت الأصنام الوثنية إلى الظهور ، وتحولت الصلاة من الله إلى العذراء والقديسين » (١) .

ويقول ول ديورانت : « كانت الكنيسة أول أمرها تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا من الوثنية وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثنى الذى يهدف إلى تمثيل الآلهة .. ولكن بانتصار المسيحية فى عهد قسطنطين لم يعظم الناس الصور التى يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب بل عظموا معها خشبة الصليب ، حتى لقد أصبح الصليب فى نظر ذوى العقول الساذجة طلسما ذا قوة سحرية عجيبة ، وأطلق الشعب العنان لفطرته ، فحول الآثار والصور والتماثيل إلى معبودات يسجد الناس لها ، ويقبلونها ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها » (٢) .

ومن هذا التاريخ - القرن الرابع الميلادى - كما ذكر علماء الكنيسة قدس المسيحيون الصلب ، وأصبح الصليب هو المسيحية ، والمسيحية هى الصليب ، ولا عجب إذا وجدنا النصارى الآن يعتزون بالصليب ويفخرون به ولسان حالهم يقول : « حاش لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع الذى صلب به »(٣) ولا عجب أيضا إذا وجدناهم يناجون الصليب فى صلواتهم قائلين : « السلام عليك أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع لتقديسك ، أيها الصليب الذى أتى بالخلاص للأشقياء » ، وإن تعجب فعجب لهؤلاء الذين لا يفرقون بين الأب والإبن والروح القدس ، والصليب ومريم بل والقديسين حيث ينادون فى الصلاة « الثالوث الأقدس » (٤) .

والصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح والعذراء المباركة الدائمة البتولية ولجميع القديسين ، ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء ، ولا عجب أيضا إذا رأينا النصارى يرسمون علامة الصليب على جباههم وصدورهم ، بل ويعلقون الصليب شارة على صدورهم (٥) .

وما درى النصارى أنهم بتقديس الصليب وعبادتهم له أصبحوا يخالفون الناموس ويناقضون تعاليم عيسى فقد قال لهم عيسى : « ملعون الرجل الذى يصنع منقوشا

(١) الكنيسة المتقرية صـ ٥٥ .

(٢) قصة الحضارة جـ ٤ جـ ٤ عصر الإيمان صـ ١٥٤ ترجمة محمد بدران .

(٣) رسالة بولس لأهل غلاطية ف (٦ : ١٤) ، النصرانية دراسة مقارنة صـ ١٧٩ د . محمد رجب .

(٤) هذه الكلمة لم يكن لها أصل فى النصرانية ولكنها وضعت فى عقيدة المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ م .

(٥) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل صـ ٢٥٥ - الأنبا يؤانس - أسقف الغربية سنة ١٩٧٧ .

أو مسبوكا رجسا لدى الرب صنعه » [١] .
وأوصاهم قائلا : « لا تصنع لك منحوتا و ولا صورة شئ مما فى السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ، ولا تسجد لهن ، ولا تعبدهن » [٢] .
وبشهادة القوم على أنفسهم نرى وجه الصواب والحق فى هذه العقيدة الشاذة وهــى : أنها لم توجد في الكنائس مدة الثلاثة أجيال الأولى قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، ولم يأمرهم المسيح بها ، ولم تعرف عبادة الصليب كما يقول ديورانت ، وبروديت ، وادوارد جيبون ، وغيرهم : إلا بعد المجتمع المذكور . فكانت الصور والتماثيل والصليب فى الكنائس والأديرة والحوانيت وحتى أثاث المنازل والحلى والملابس لم تخل منها ، حتى قال جيبون : تسربت إلى الكنيسة الكاثوليكية شعائر الوثنية المتمثلة في الركوع ، وإيقاد الشموع ، وحرق البخور للقديسين والصليب ، ورسخ استخدام التماثيل والصور وعبادتها قبل القرن السادس الميلادى .
وبهذه الشهادة التاريخية يتبين أن عقيدة الصليب تولدت عند النصارى بعد زمن المسيح بثلاثة أجيال ، ومن ثم أنكرها كثير من الفرق النصرانية القديمة شأنها شأن عقيدة التثليث . والحاقاً لما سبق نورد مقتطفات مما ورد في تفنيد هذه الفرية الضالة والأفكار المتهافتة ، وهذه الفلسفة الساذجة التى تحمل بين طياتها أدلة فسادها وبطلانها لأنهم بذلك يخالفون العقل والمنطق ويزيفون على الضمير الإنسانى أهم شئ فى حياة الإنسان وهو العقيدة .

رأى بعض الفلاسفة فى عقيدة الصليب :

وجدت فرق كثيرة من فرق النصارى ترفض وقوع الصلب للمسيح رفضا كليا ، لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ، والبعض الآخر كان يرفضه استنادا للأدلة التاريخية التى ألمحت إليها سابقا ..
هذه الفرق التى أنكرت حادثة الصلب : المرقيونيون ، المانيون ، والبوليسيون .. والدوسيتية .. وعلى رأسهم فرقة الفنوسطيون .. ولذيوع رأيهم حتى الآن كتب كثير من النصارى عنهم وعلى رأس هؤلاء القس « عوض سمعان » الذى كتب كتابا بعنوان : (صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفنوسطيون) عرف فيه هذه الطائفة قائلاً : « الفنوسطيون : أو أهل المعرفة فرقة ظهرت فى المدة الواقعة بين القرنين الثانى والرابع للميلاد : وهم أول من اعتقدوا بعدم صلب المسيح ، وانتقل اعتقادهم

---

(١) سفر التثنية (ف ٢٧) .
(٢) سفر الخروج (ف ٢٠ ع ٤ ، ٢٥) .

هذا إلى بعض الذين رفضوا الوثنية واعتنقوا المسيحية فى القرون الأولى .. وأول من عرف من الفنوسطيين شيئا من المسيحية شخصا يدعى « ميمون » من بلاد السامرة.

وذهب هؤلاء إلى أن المسيح لم يصلب ، وأن الذى صلب هو شخص غيره خيل لليهود أنه المسيح ... ثم يقول المؤلف : ومن ثم أطلق المؤرخون على الفنوسطيين اسم « المشبهة » ولا تزال إلى وقتنا الحاضر جماعة فى أمريكا تؤمن لآراء الفنوسطيين هى « محفل الأخوة العظيم الأبيض » (١) .

ثم عرض القس « عوض سمعان » آراء بعض من زعماء تلك الفرقة فقال : « إن مرقيون الذى كان فى القرن الثانى كانت عقيدته أن الذى صلب ليس المسيح بل شخص غيره ظن اليهود أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إلى السماء سالماً » .

وقال نطانيوس : « فى أواخر القرن الثانى ، لما أخذ المسيح يوبخ اليهود على شرورهم وآثامهم ، مدوا أيديهم إليه لكى يقتلوه فوقعت على شخص آخر ظنوا أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد صعد إلى السماء سراً كما نزل سراً منها » .

وقال مانى فى القرن الثالث : « مد اليهود أيديهم – إلى المسيح – لكى يصلبوه فوقعت على شخص كان قد أساء إليه من قبل ظنوا أنه المسيح فأخذوه وصلبوه ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إليه دون أن يصيبه سوء » هذا بعض ما نقله القس « عوض سمعان » عن طوائف النصارى فى القرون الأولى .. وكلها تنكر حادثة الصلب ، وتنزه المسيح عليه السلام مما ألحقه النصارى به .. وهذه شهادة توافق ما جاء فى إنجيل برنابا ، هذا الإنجيل الذى كتبه أحد حوارى المسيح كما يعتقد النصارى فى برنابا .

أضف إلى ما سبق شهادة برنابا فى إنجيله أن المسيح ما قتل وما صلب ولكنه رفع .

وبرنابا هذا كان أحد الحواريين والمعروف عند النصارى « بابن الواعظ » بعد أن كان اسمه يوسف ، وهو الذى كان يعظ الناس بل ويقدم الوعاظ للناس وهو الذى قدم بولس للناس كما جاء فى نصوص الأناجيل (٢) .

(١) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفنوسطيين صـ ٣-١١ بإيجاز القس عوض سمعان ، المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧١ م .

(٢) يراجع فى هذا أعمال الرسل ف(٤ ، ١ ، ٤٢) ، وقاموس الكتاب المقدس صـ ١٧٨ فى ترجمة برنابا ، مجموعة من أساتذة اللاهوت – مجمع الكنائس . طبعة ثانية سنة ١٩٧١م .

جاء فى إنجيل برنابا [ولما دنت الجند مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع
جاء فى إنجيل برنابا [ولما دنت الجند مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع
ورأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وعزرائيل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب » (١) .

وفيه أيضاً : « ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا (٢) فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتي أننا اعتقدنا أنه يسوع .. إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التى ذكرت فى هذا الإنجيل والتى تدل دلالة قاطعة على أن الذى صلب ليس هو المسيح ولكنه شخص آخر عرفه الإنجيل بأنه يهوذا أما المسيح فقد رفعه الله إليه وهذا ما شهد به القرآن الكريم .

* * *

وجاء القرآن الكريم ينفى الصلب عن عيسى عليه السلام ويبين أنه رفع :

القرآن الكريم وهو الكتاب الخاتم والمهيمن على ما تقدمه من كتب نزلت من عند الله عز وجل قد بين الحقائق كاملة فى أمر عيسى عليه السلام .. فعيسى عليه السلام قد جعله الله آية ، كما قال سبحانه { ولنجعله آية للناس } (٢) .

ومن لوازم الآية أنها تكون على خلاف ما يعهده البشر .. فاقتضت إرادة الله أن ينطق عيسى وهو فى المهد صبيا ويتحدث عن يوم ميلاده ويوم موته .. ويوم بعثه ثلاثة أيام يصورها بالألف واللام فى كلمة السلام عن هذه الأيام الثلاثة فقال تعالى على لسان عيسى : { والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا }(٣) فقد برأ الله نبيه عيسى عليه السلام مما سيتحدث عنه البشر فقد قالوا لأمه ساعة ولادته : { يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً } (٤) فبرأها

---

(١) انجيل برنابا [٢١٥ : ١ - ٥] .

(٢) سورة مريم من الآية / ٢١ .

(٣) سورة مريم الآية / ٣٣ .

(٤) سورة مريم الآية / ٢٨ .

الله من البغاء والزنا والسفاح مبينا أن عيسى عليه السلام إنما جاء كذلك لأمر أراده الله عز وجل وأمره دائما { إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون }(١) ثم إن القوم جعلوها « أى مريم » بعد ذلك إلها وأنها ولدت عيسى الإله من أجل ذلك تحدث عيسى عن يوم الولادة لينفى تلك الشبهة ويزيل هذه الأباطيل ، كما

تحدث عن يوم موته .. ليرد على حادثة الصلب مبينا أنه ساعة موته لم ولن تمتد إليه يد بسوء .. وكيف يمتد إليه السوء وهو رسول من عند الله جعله آية : فى : خلقه ، وحمله ، وولادته ، وبعثه ، ومعجزاته ، ورفعه إلى السماء ..

شأن عيسى كله كان على نحو لم يعرفه البشر من قبل .

فقد كان خلق عيسى عن طريق النفخ لأن القوم كانوا ينكرون وجود الروح ،

ومن ثم ناسب أن يكون عيسى نفسه عن طريق نفخ الروح .

وجاءت معجزاته كذلك على هذا النحو لأن القوم الذين أرسل إليهم عيسى كما أنكروا وجود الروح .. أنكروا ما يترتب عليها وهو البعث وما فيه من حساب وجنة ونار .. ومن أجل ذلك كان كلام عيسى وهو فى المهد عن يوم بعثه أيضا ليبين أن الله هو الذى خلقه وهو الذى سيميته ثم يبعثه دون أن تمتد إليه يد بسوء فى هذه الأيام الثلاثة ، وهذا ما أثبته القرآن الكريم مفصلاً قال تعالى : { وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما .. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله .. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .. وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتبـــاع الظن وما قتلوه يقينا .. بل رفعه الله إليـــه وكان الله عزيزاً حكيماً }(٢) .

ومن هنا ذهب جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة إلى القول برفع المسيح عليه السلام حيا وأنه ما صلب ولكن الله أنجاه من كيد اليهود يدل على ذلك قوله تعالى : { ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا }(٣) .

وقد جاء فى إنجيل لوقا قول الملاك لمريم : (ها أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما)(٤) .

---

(١) سورة مريم من الآية / ٣٥ .
(٢) سورة النساء / ١٦٥ ، ١٧٥ .
(٣) سورة آل عمران / ٥٣ ، ٥٤ .
(٤) انجيل لوقا (١ : ٣١ ، ٣٢) .

وهذا نقيض ما ذكرته أناجيلهم المعتمدة لديهم فى وصف ما حدث للشخص المصلوب من تتويجه بإكليل من الشوك ، وجذبه ، وضربه ، ولطمه ، والبصق على وجهه ... الخ

إن هذا لا يليق بعامة الناس .. فكيف بالمسيح الذى هو نبى ورسول عندنا نحن المسلمين ، وكيف يليق أن يفعل به ذلك ثم يصلب وهو إله عند النصارى ، إن شخصا له مثل هذه المكانة وتلك العظمة لابد أن يحميه الله من هذه الإهانات وأن يحفظه ويعصمه من البشر فلا تمتد إليه يد بسوء ولا صلب : فيكون وجيها عند الله وعند الناس .. وهذا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى مريم أم المسيح إذ نادتها الملائكة [يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين](١)

وبعد ما تقدم أقرر أننى تناولت قضية الصلب المزعومة بأنها لفداء بنى البشر لأنها من أهم العقائد النصرانية .

وهذه القضية لم تكتسب أهميتها من أنها جريمة قتل وقعت على نبى من أنبياء الله .. فإن كثيرين من الأنبياء قد رحلوا عن هذا العالم نتيجة لهذه الجريمة . ولو أن المسيح صلب حقيقة لما كان ذلك شيئا فوق الإمكان ، لأن كثير من الأنبياء قد قتلوا بيد اليهود من أمثال : يحيى ، وزكريا ، وحزقيال وغيرهم .

ولكن هذه القضية اكتسبت أهميتها من حيث أنها جعلت أساساً يقوم عليها دين .. وتبنى عليه عقيدة .. حيث أن عقيدة النصارى فى صلب المسيح كانت أساسا وبداية لجعله إلها ، وأساسا للتثليث ، وأساسا لاتخاذ الصليب رمزا مقدسا للنصرانية كلها كدين ، ويكفى أن نعرف أن الصليب الذى يعتقدون أن المسيح قتل عليه أصبح رمزا مقدسا عندهم ، وهو رمز التثليث ، وهو كذلك رمز للمذبح الذى ذبح عليه المعصوم ، وهو كذلك رمز لأكبر فاجعة وقعت فى تاريخ البشرية ، وهو كذلك أساس الكنيسة وعماد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية (٢) .

لذلك تناولتها أولا بالعرض والتفنيد قدر استطاعتى فى هذه العجالة لما عند القوم وبيان ما جاء به القرآن دستور الإسلام الخالد فى تلك القضية وموقفه الرافض لها .. ويلحق بهذه القضية ما بنى عليها من التثليث ليقف القارئ الكريم على أسبابها ، وما قيل فيها - لها أو عليها - ونترك له الحكم ؟؟

---

(١) سورة آل عمران / ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) الإنجيل والصليب صـ ٦ القس عبدالأحد داود . ترجمة مسلم العراقى سنة ١٣٥١هـ .